المصادر والموارد المعرفية التاريخية للممالك العربية قبل الاسلام
١ ـ النقوش والكتابات

تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكون التاريخ الجاهلي لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام، وأريد أن أقسمها إلى قسمين

نقوش وكتابات غير عربية تطرقت إلى ذكر العرب كبعض النصوص الأشورية أو البابلية ونصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة، منها ما عثر عليه في العربية الجنوبية، ويدخل ضمتها تلك التي وجدت في مصر أو في بعض جزر اليونان أو في الحبشة، وهي من كتابات المعينيين والسبئيين ومنها ما عثر عليه في مواضع أخرى من جزيرة العرب، مثل أعالي الحجاز وبلاد الشام والعربية السعودية والكويت ومواضع أخرى

وكل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص في جزيرة العرب مدوناً بلهجة من اللهجات التي تعارف علماء العرب أو المستشرقون على اعتدادها من لغات العرب.

وأغلب الكتابات الجاهلية التي عثر عليها هي وبا للأسف في أمور شخصية، ولذلك انحصرت فوائدها في نواح معينة، في مثل الدراسات اللغوية، وأقلها النصوص التي تتعرض لحالة العرب السياسية، أو الأحوال الاجتماعية أو العلمية أو الدينية أو النواحي الثقافية والحضارية الأخرى، ولهذا بقيت معارفنا في هذه النواحي ضحلة غير عميقة.

بل حتى النصوص العربية الجنوبية التي عثر عليها حتى الآن، هي في أمور شخصية في الغالب، من مثل إنشاء بيت، أو بناء معبد، أو بناء سور، أو شفاء من مرض، ولكنها أفادتنا، مع ذلك، فائدة كبيرة في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين، فقد أمدتنا بأسماء عدد من الملوك، ولولاها لما عرفنا عنهم شيئاً، ونظراً إلى ما تجده في بعض النصوص من إشارات إلى حرب ، ومن صلات بين ملوك الدول العربية الجنوبية، ونظراً إلى كون بعض الكتابات أوامر ملكية وقوانين في تنظيم الضرائب وتعيين حقوق الغرباء وفي أمور عامة أخرى لها علاقة بصلة الحكومات بشعوبها، ونظراً إلى ما عرفناه من ميل إلى الحضارة والاستقرار والعمل والبناء، وفي حكوماتهم من تنظيم وتنسيق في الأعمال.

فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن، فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم ثم ذكر أنهم أرخوا أيضاً بما كان يقع لديهم من أحداث جسيمة في نظرهم، مثل نار صوان (وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصي بلاد اليمن، ومثل الحروب التي وقعت بين القبائل والأيام الشهيرة، وقد أورد جريدة بتواريخ القبائل إلى ظهور الإسلام ، وذكرالطبري (أن العرب لم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك، غير أن قريشاً كانوا - فيما ذكر - يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة، كتاريخهم بيوم جبلة وبالكلاب الأول والكلاب الثاني) .

ويرى كثير من المستشرقين والمشتغلين بالتقاويم وبتحويل السنين ويتثبيتها، وفقاً لها، أن عام الفيل يصادف سنة ٥٧٠(او ٥٧١ (للميلاد، وبذلك يمكن اتخاذ هذا العام مبدأ نؤرخ به على وجه التقريب الحوادث التي وقعت في مكة أو في بقية الحجاز والتي أرخت بالعام المذكور

٢ ـ التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية

وقد جاء ذكر العرب في مواضع من أسفار التوراة تشرح علاقات العبرانيين بالعرب، والتوراة مجموعة أسفار، كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة، كتبوا أكثرها في فلسطين، وأما ما تبقى منها، مثل حزقيال والمزامير، فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي، وأقدم أسفار التوراة هو سفرعاموس ويظن أنه كتب حوالي سنة ٧٥٠ ق . م(وأما آخر ما كتب منها، فهو سفر) دانيال والإصحاحان الرابع والخامس من سفر المزاميروقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح.

فما ذكر في التوراة عن العرب يرجع تاريخه إذن إلى ما بين سنة ٧٥٠ والقرن الثاني قبل المسيح. وقد وردت في التلمود إشارات إلى العرب كذلك، وهناك نوعان من التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي كما يسميه العبرانيون اختصاراً، والتلمود البابلي نسبة إلى) بابل بالعراق، ويعرف عندهم باسم) بابلي اختصاراً.

أما التلمود الفلسطيني، فقد وضع، كما يفهم من اسمه، في فلسطين،جيئس وضع الحبر) رابي يوحان (التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صوره في أواسط القرن الثالث الميلادي وتلاه بعد ذلك الأحبار الذين جاؤوا بعد) يوحنان(، وهم الذين وضعوا شروحاً وتفاسير عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيئته النهائية في القرن الرابع الميلادي.

وأما التلمود البابلي، فقد بدأ بكتابته - على ما يظهر - الحبر) آشي (المتوفى عام ٤٣٠م، وأكمله الأحبار من بعده، واشتغلوا به حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد ، ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به، هو طابع البلد الذي وضع فيه، لذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث، وأما التلمود البابلي، فيظهرعليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق في التفكير، وتوسع في الأحكام والمحاكمات، وغنى في المادة، وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني.

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة، وتفيدنا إشاراته من هذه الناحية في تدوين تاريخ العرب،أما الفترة بين الزمن الذي انتهى فيه من كتابة التوراة والزمن الذي بدأ فيه بكتابة التلمود، فيمكن أن يستعان في تدوين تاريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب، ومنهم المؤرخ اليهودي) يوسف فلافيوس (الذي عاش بين سنة ٣٧ و ١٠٠ للمسيح تقريباً، وله كتاب باللغة اليونانية في تاريخ عاديات اليهود ، تنتهي حوادثه بسنة ٦٦ للميلاد، وكتاب آخر في تاريخ حروب اليهود على القدس وفي كتبه معلومات ثمينة عن العرب، وأخبار مفصلة عن العرب الأنباط، لا نجدها في كتاب ما آخر قديم، وقد عاصرهم هذا المؤرخ، غير أنه لم يهتم بهم إلا من ناحية علاقة الأنباط بالعبرانيين، ولم تكن بلاد العرب عنده إلا مملكة الأنباط)

هذا وإن للشروح والتفاسير المدونة على التوراة والتلمود قديماً وحديثاً، وكذلك للمصطلحات العبرانية القديمة على اختلاف أصنافها أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية، وفي شرح المصطلحات الغامضة التي ترد في النصوص العربية التي تعود إلى ما قبل الإسلام، لأنها نفسها وبتسمياتها ترد عند العبرانيين في المعاني التي وضعها الجاهليون لها ، وقد استفدت كثيراً من الكتب المؤلفة عن التوراة مثل المعجمات في تفهم أحوال الجاهلية، وفي زيادة معارفي بها، ولهذا

أرى أن من اللازم لمن يريد درس أحوال الجاهلية، التوغل في دراسة تلك الموارد وجميع أحوال العبرانيين قبل الإسلام.

الكتب الكلاسيكية

وأقصد بالكتب الكلاسيكية الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام، ولهذه الكتب . على ما فيها من خطأ - أهمية كبيرة، لأنها وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة .ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم تعرف عنها شيئاً، وقد استقى مؤلفوها وأصحابها .معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان أو الرومان إلى بلاد العرب ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرانيهم، ولا سيما في بلاد الأنباط، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة .وتعد الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط، وقد استقى كثير من الكتاب الكلاسيكيين معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية.

وتتحدث الكتب الكلاسيكية جازمة عن وجود علاقات قديمة كانت بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان، وهي وجود أصل دموي مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان، وتفصح هذه النظرية -على ما يبدو منها من سذاجة - عن العلاقات العريقة في القدم التي كانت تربط سكان البحر المتوسط الشماليين بسكان الجزيرة العربية.

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين) أخيلس) (٥٢٥ - ٤٥٦ ق . م) هيرودتس (٤٨٠ - ٤٢٥ ق) . م (وقد زار مصر، وتتبع شؤون الشرق وأخباره بالمشاهدة والسماع، ودون ما سمعه، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي، وهو أول أوروبي ألف كتاباً بأسلوب منمق ميوب في التاريخ ووصل مؤلفه إلينا، وقد لقبه) شيشرون (الشهير بلقب) أبي التاريخ.

الموارد النصرانية

وللمواد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتاريخ القبائل العربية، وعلاقات العرب باليونان والفرس، وقد كتب أغلبها باليونانية والسريانية، ولها في نظري قيمة تاريخية مهمة لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتاريخ ثابت معين، مثل المجامع الكنيسية، أو تواريخ القديسين والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة.

ومن أشهر هذه الموارد مؤلفات المؤرخ الشهير) أويبيوس (المعروف بـ) (أويسبيوس القيصري (٢٦٣ - ٣٤٠) (٢٦٥ - ٣٤٠م (وبـ) أبي التاريخ الكنائسي، وبـ (هيرودتس النصارى كان على اتصال بكبار رجال الحكومة وبرؤساء الكنيسة، فاستطاع بذلك أن يقف على كثير من أسرار الدولة وأن يراجع المخطوطات والوثائق الثمينة التي كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والأغنياء.

وكان قد ألف كتاباً في التاريخ باللغة اليونانية، عرف(كرنوكون)(، حوى بالإضافة إلى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التي حدثت في أيامه، وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥م، ولم يبق من أصله غير قطع صغيرة .ولهذا الأسقف كتب مهمة أخرى، في مقدمتها كتاب التاريخ الكنائيي ،وشهداء فلسطين (تحدث فيه عن تعذيبهم واستشهادهم في أيامConstantine) ، وكتاب في فلسفة اليونان وديانتهم٥٨٢م.
من مؤرخي الكنيسة

اثناسيوس	مؤلفات	
جيلاسيوس		
يوحنا الافسي	التاريخ الكنائس	التاريخ الكنائس تاريخ القدسين الشرقيين
اسطفيان البيزنطي ت ٦٠٠م		
يواكريوس المعروف المدرسي	التاريخ الكنائسي	
تيوفليكت المتوفي سنة ٦٤٠م		
ثيوفانس المتوفى سنة ٨١٨،		
إيليا النصيبي(وميخائيل السوري		

وفي قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني أسماء مخطوطات تاريخية ودينية أخرى ذات فائدة كبيرة في هذا الباب وفي مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية وفي المجموعات التي تبحث في أعمال القديسين وفي انتشار النصرانية، إشارات مهمة إلى بلاد العرب، وهناك كتاب نشره المشرق) كارل مولر لمؤلف مجهول .

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من روم وسريان عاشوا في أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ألقوا في التاريخ العام وفي تواريخ النصرانية إلى أيامهم، فتحدثوا لذلك عن العرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومؤلفات هؤلاء مفيدة من ناحية ورود معارف فيها لا ترد في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام، تفيد في سد الثغر في التاريخ الجاهلي وفي الوقوف على النصرانية بين العرب وعلى صلات الروم والفرس بالعرب..

.وأكثر الموارد المذكورة هي، ويا للأسف، مخطوطة، ليس من المتيسر الاستفادة منها، أو مطبوعة ولكنها نادرة، لأنها طبعت منذ عشرات من السنين، فصارت نسخها محدودة معدودة لا توجد إلا في عدد قليل من المكتبات، ثم إنها في اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، أي في لغاتها الأصلية، ولهذا صعب على من لا يتقن هذه اللغات الاستفادة منها ، ولهذه الأمور ولأمثالها، لم يستفد منها الراغبون في البحث في التاريخ الجاهلي حتى المستشرقون منهم استفادة واسعة، فحرمنا الوقوف على أمور كثيرة من أخبار الجاهلية كان في الإمكان الوقوف عليها لو تيسرت لنا هذه الكنوز.

الموارد العربية الإسلامية

وأعني بها الموارد التي دونت في الإسلام وقد جمعت مادتها عن الجاهلية من الأفواه، خلا ما يتعلق منها بأخبار صلات الفرس بالعرب وبأخبار آل نصر وآل غسان وبأخبار اليمن المتأخرة، د أخذت من موارد مرتبة يظهر أنها كانت مكتوبة كما سأتحدث عن ذلك.

والموارد المذكورة كثيرة، منها مصنفات في التاريخ، ومنها مصنفات في الأدب بنوعيه : من نثر ونظم، ومنها كتب في البلدان والرحلات والجغرافيا وفي موضوعات أخرى عديدة، هي وإن ت في أمور لا تعد من صميم التاريخ، إلا أنها مورد من الموارد التي يجب الاستعانة بها في من تاريخ الجاهلية، لأنها تتضمن مادة غزيرة تتعلق بتاريخ الجاهلية القريبة من الإسلام حصلة به، لا نجد لها ذكراً في كتب التاريخ، فلا بد لمؤرخ الجاهلية من الأخذ منها لإتمام خ.

الحق أننا إذا أردنا البحث عن مورد يصور لنا أحوال الحياة الجاهلية، ويتحدث لنا عن تفكير أهل الحجاز عند ظهور الإسلام، فلا بد لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم ولا بد من تقديمه على سائر المراجع الإسلامية، وهو فوقها بالطبع، ولا أريد أن أدخله فيها، لأنه كتاب مقدس، لم ينزل كتاباً في التاريخ أو اللغة أو ما شاكل ذلك، ولكنه نزل كتاباً عربياً، لغته هي اللغة العربية التي كان يتكلم بها أهل الحجاز، وقد خاطب قوماً تتحدث عنهم في هذا الكتاب، فوصف حالتهم، وتفكيرهم وعقائدهم، ونصحهم وذكرهم بالأمم والشعوب العربية الخالية(١) ، وطلب منهم ترك ما هم عليه، وتطرق إلى ذكر تجاراتهم، وسياساتهم وغير ذلك، وقد مثلهم أناس كانت لهم صلات بالعالم الخارجي، واطلاع على أحوال من كان حولهم، وفيه تفنيد لكثير من الآراء المخلوطة التي نجدها في المصادر العربية الإسلامية، فهو مرآة صافية للعصر الجاهلي، وهو كتاب صدق لا سبيل إلى الشك في صحة نصه.
وفي القرآن الكريم ذكر لبعض أصنام أهل الحجاز، وذكر لجدلهم مع الرسول ﷺ في الإسلام وفي الحياة وفي المثل الجاهلية، وفيه تعرض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم، وذكر تجارتهم مع العالم الخارجي، ووقوفهم على تيارات السياسة العالمية، وانقسام الدول إلى معسكرين، وفيه أمور أخرى تخص الجاهلية وردت فيه على قدر ما كان لها من علاقة بمعارضة قريش للقرآن والإسلام، وفي كل ما ورد فيه دليل على أن صورة الإخباريين التي رسموها للجاهلية، لم تكن صورة صحيحة متقنة، وأن ما زعموه من عزلة جزيرة العرب، وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء، كان زعماً لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيراً مما ذهبوا إليه.

والتفسير، مصدر آخر من المصادر المساعدة لمعرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وفي كتب التفسير ثروة تاريخية قيمة تفيد المؤرخ في تدوين هذا التاريخ، تشرح ما جاء مقتضباً في كتاب الله، وتبسط ما كان عالقاً بأذهان الناس عن الأيام التي سبقت الإسلام، وتحكي ما سمعوه وما وعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضب في السور، وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات.

وكتب الحديث وشروحها، هي أيضاً مورد غني من الموارد التي لا بد منها لتدوين أخبار الجاهلية المتصلة بالإسلام، إذ نجد فيها أموراً تتحدث عن نواح عديدة من أحوال الجاهلية لا نجدها في مورد آخر، فلا مندوحة من الرجوع إليها والأخذ منها في تدوين تاريخ الجاهلية، ولكن أكثر من بحث في

التاريخ الجاهلي لم يغرف من هذا المنهل الغزير، بسبب عدم انتباههم لأهميته في تدوين تاريخ عرب الحجاز عند ظهورالإسلام، فعلينا نحن اليوم واجب الأخذ منه، لنزيد علمنا بتاريخ هذه الجاهلية المتصلة بالإسلام.

والشعر الجاهلي، مورد آخر من الموارد التي تساعدنا في الوقوف على تاريخ الجاهلية . والاطلاع على أحوالها، وقديماً قيل فيه إنه ديوان العرب ، وقد جمع الشعر الجاهلي في الإسلام، جمعه رواة حاذقون، تخصصوا برواية شعر العرب، قال) محمد بن سلام الجمحي : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها، حماد الراوية، وكان غير موثوق به، كان ينحل شعر الرجل غيره، ويزيد في الأشعار ، واشتهر بجمعه أيضاً) أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة) ١٥٤ (للهجرة ، وخلف بن حيان أبو محرز الأحمر وأبو عبيدة، والأصمعي، والمفضل بن محمد الضبي الكوفي صاحب المفضليات، وهي ثمان وعشرون قصيدة قد تزيد وقد تنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية

المصادر البيزنطية والسريانية:

لهذه المصادر أهمية ذات شأن كبير في تدوين تاريخ القبائل والمماليك العربية قبل الإسلام لا سيما تلك التي كانت على صلة بالدولتين البيزنطية والساسانية (٢٣٣) ، كذلك تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وقد كتبت أغلبها باليونانية والسريانية وبهذا وضعت تحت تصرفنا معلومات غزيرة عن تلك الفترة.(٢٣٤)

كما أن المبشرين المسيحيين الذين انتشروا في أرجاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية لنشر الديانة المسيحية وانتقلوا بين مضارب العرب المختلفة قد حفظوا لنا مادة غزيرة عن العرب في الفترة التي عاشوها (٢٣٥) منهم شمعون الارشامي (٢٣٦) (صاحب رسائل الشهداء الحميريين ، التي تبحث في تعذيب ذي نؤاس لنصارى نجران (٢٣٧) كما أن المجاميع الكنسية تلقي ضوءا على الحالة السياسية والفكرية للعرب قبل الاسلام.

ومن المؤرخين الذين تضمنت كتبهم اشارات عن العرب بروكوبيروس من رجال القرن السادس الميلاد ، في كتابه (De Bello Persico) ، وزكريا المتوفي سنة٥٦٨ م ،ومنهم المؤرخ السرياني) ملالا ((٤٩١ - ٥٧٨)م ، وميخائيل السوري (٢٤٤) الذي نقل كتاب يوحنا الافسي وآخرين ولعل المصادر السريانية التي لا زالت مجهولة ستنير لنا بعض نواحي تلك الفترة لدى اكتشافها.

المصادر الحبشية:

أن النقوش الحبشية التي اكتشفت في) اسمرا (و) يحا وغيرها من المدن الأثرية الأخرى (٢٤٦) في) مملكة أقسوم (القديمة لها أهمية كبيرة في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام ، وذلك لان بعض القبائل نزحت إلى تلك البلاد في قرون بعيدة) ق.م (، واسست هناك مستعمرات ، ووضعت الاساس لدولة أقسوم (٢٤٧) ، التي اخضعت فيما بعد القرن السادس الميلادي بلاد العرب الجنوبية لسلطانها كذلك تعتبر الآداب الحبشية (٢٤٨) من المصادر المهمة لدراسة الفترة الواقعة بين القرون الميلادية ومجيء الاسلام (٢٤٥) فلا بد من الباحث الرجوع اليها والاستفادة منها.